موقف سيبويه من القراءات القرآنية في أصولِ النحوِ العربي بين القبولِ والرفضِ

Sibawayh's View on the Relationship of Qur'anic Variant Readings to the Rules of Arabic Grammar Between Acceptance and Rejection

Pandangan Sibawayh tentang Hubungan antara Variasi Bacaan al-Quran dan Kaedah-Kaedah Nahu Arab: Di Antara Penerimaan dan Penolakannya

أبو سعيد محمد عبد المجيد*

مستخلص البحث

يهدف هذا البحثُ إلى بيانِ موقفِ سيبويه من القراءات القرآنيةِ ومدى اعتماده عليها وتعاملها معها في التقعيد النحوي والاستشهادِ به في المجالاتِ المختلفةِ. وما مدى صحة الرأي القائلِ بأنه كان يُخَطِّئُ القُرَّاءَ أحيانًا ويُضَعِّفُ القراءةَ إذا خالفت قياسًا معتمدًا عنده؟. في حين أنه كان يُقَرِّرُ أنَّ القراءات لا تُخَالَفُ لأنّها السنة. وقد كان هذا المبدأ كفيلاً بأن يُوْرِثَ سيبويه احترامًا لكلِّ ما ورد من قراءاتٍ، واعتمادًا لها في مجال التقعيد النحوي، إذا أخذنا في الاعتبارِ أن كتابه عمدةٌ في هذا الشأن، ونبراسٌ سار على دربِهِ الكثيرون ومن ثَمَّ تأثروا بمنهجِهِ في تناولِ القراءاتِ القرآنيةِ وأسلوبه في التعامل معها. وبيان أحوال القراءات في عصره. ويتّخذُ البحث المنهجَ الوصفيَّ والاستقرائيَّ والتحليليَّ والنقديّ. ويتمُّ ذلك من خلال الرجوعِ إلى كتاب سيبويه وكتب القراءات وما كتبه العلماء في هذا الشأن. ويشتمل على حجية القرآن والقراءات في أصول النحو العربي، ومصدر القراءات عند سيبويه، كما تناول طريقة سيبويه من عرض القراءات ونسبتها لرواتها وموقفه

* أستاذ اللغة العربية، البريد الإلكتروني: azosaiid@yahoo.com

منها وأقوال العلماء في موقفه منها. وتوصلت الدراسة إلى أن سيبويه لم يعارض القراءات لا صريحةً ولا خفيةً؛ لأن كثيرًا منها شاذة، ثم هو لم يعرف القرّاء فيها. والأغلب أنه لم يذكر القارئ ويدل ذلك على عدم الإلمالم به؛ لأن علم القراءات لم يوضع في زمانه.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، أصول النحو العربي، الموقف، التقعيد النحوي، المنهج، الاستشهاد.

Abstract

This article aims at elucidating Sibawayh's position with regard to Qur'anic variant readings and the extent to which he relies on them in establishing the rules of Arabic grammar as well as his invoking thereof in his linguistic studies. Likewise, the article looks into the view ascribing to him the accusation of Qur'an readers (*qurrā'*) of error sometimes and considering certain readings as weak when they do not conform with analogical grammatical rules taken-for-granted by him at other times; all this despite the fact that he used to emphatically state that Qur'anic readings were not to be violated because they were a matter of established Prophetic tradition (*sunnah*). The author has employed descriptive-inductive as well as analytic-critical methods in studying the subject. He draws mainly on the *Kitāb* of Sibawayh (which is the major source of Arabic grammar) and works on the variant readings of the Qur'an, while benefiting from what has been written on the subject by some scholars. For this, the article has discussed the Qur'an and its variant readings as authoritative source for establishing the principles and rules of Arabic grammar. It has also looked into the place of the variant readings according to Sibawayh and the way he cites them and attributes them to transmitters. The article has also discussed the views and conceptions of scholars of his position concerning those readings.

Key Terms: Qur'anic variant readings, principles of Arabic grammar, establishing grammatical rules, Sibawayh.

Abstrak

Artikel ini bertujuan untuk menjelaskan kedudukan Sibawayh tentang variasi bacaan al-Quran. Begitu juga ia mengkaji setakat mana pengantungan beliau kepadanya dalam menentukan kaedah-kaedah nahu Arab dan pengaruhnya kepada kajian bahasa yang ia lakukan. Artikel ini juga meninjau pandangan yang menyatakan Sibawayh menggangap para qurra' kadang-kandang tersalah dalam bacaannya dan pandangannya dalam menetapkan bacaan tertentu sebagai lemah bila ia tidak bertepatan dengan kaedah-kaedah nahu pada setengah keadaan. Ini berlaku di sebalik penegasan beliau bahawa bacaan-bacaan al-Quran tidak boleh

diganggu gugat kerana ia sudah dibuktikan dengan hadith (Sunnah). Penulis menggunakan kaedah induktif deskritif dan kritikan analisis dalam kajian ini. Penulis menggunakan Kitab Sibawayh dan karya lain tentang variasi bacaan al-Quran di samping kajian pakar dalam bidang ini. Artikel ini membincangkan tentang al-Quran dan variasi bacaan sebagai sumber yang autoriti dalam menentukan kaedah-kaedah nahu Arab. Ia melihat kedudukan variasi bacaan menurut Sibawayh dan cara catatan yang dibuat dan cara dalam mengaitkan dengan rantaian perawi.Artikel ini juga membincangkan pandangan dan konsepsi para sarjana tentang kedudukan beliau tentang bacaan al-Quran tersebut.

Kata Kunci: Variasi bacaan, prinsip asas nahu Arab, penentuan kaedah-kaedah nahu, Sibawayh

تمهيد

إنه لم يلقَ أي كتاب في تاريخ الإنسانية جمعًا ما لقيه القرآن الكريم من عناية واهتمام. ولا غرو في ذلك؛ فهو كتاب رب العالمين، الخالد إلى يوم الدين. إنه كتاب البشرية جمعاء على مرّ العصور والدهور، واختلاف الأماكن والبقاع. وكان للمسلمين شرف الاهتمام بهذا الكتاب والعناية به، تلاوةً وحفظًا، وشرحًا وتفسيرًا، وتعلمًا وتعليمًا. فإنّ أفضلَ العلوم قاطبةً هي علوم القرآن الكريم، لاتصالها بكتاب الله تعالى، وكان الاشتغال بهذا هو أفضل نعمةٍ وأربح تجارةٍ. فهو الذي تُصْرَفُ إلى تحصيله الهِمَمُ العوالي، وتُبْذَلُ في تحريره المُهَجُ الغوالي. والمستمسك به قد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصامَ لها. وإن القرآن الكريم — منذ نزوله- محطّ أنظار العلماء، ومناط أفكار الفضلاء، وموضع عنايتهم في القديم والحديث، حتى استفادوا منه علومًا كثيرةً وفنونًا غزيرةً، وإن تعددت جهات نظرهم إليه، وتباينت مشاربهم منه، واختلفت في ذلك مذاهبهم.

ومن بين هذه العلوم، علم القراءات القرآنية، وهي مصدر من مصادر إعجاز القرآن الكريم، ومظهر من مظاهر رحمة الله تعالى بهذه الأمة. وهي من الموضوعات التي لم تزل تُدْرَس في مائدة العلم إلى هذه اللحظات من الزمن، ولها أثر في مجالات العلوم المتنوعة. وهي من الموضوعات الحساسة لارتباطها بالقرآن الكريم. والعلم

بالقراءات القرآنية أصل في العلم بكل معلوم، وذلك أنها تفتح المجالات الواسعة للبحث في شتى المعارف.

إن صلةَ علمِ النحوِ بالقراءاتِ القرآنيةِ وثيقةٌ، والعلماء قد انتبهوا منذ وقتٍ مبكّرٍ إلى ضرورةِ التوافقِ بين القراءةِ المرويةِ والقاعدةِ النحويةِ، لكنهم اختلفوا في تطبيقِ هذه المعادلةِ؛ فرأى بعضهم أن القاعدةَ النحويةَ هي المرجعُ المعتبرُ والأساسُ الذي يرد إليه كل خلافٍ؛ فما وافقه فهو الصوابُ، وما خالفه فلحنٌ إلا للضرورة الشعرية وغيرها، ورأى آخرون أن القاعدة وُضِعَتْ في وقتٍ لاحق، وكانت قاصرةً عن استيعابِ جميعِ أنواعِ الكلامِ وأحوالِ اللغة لأسبابٍ موضوعيةٍ؛ فليس من شأنها أن تكونَ مرجعًا وأساسًا يحاكم إليه كل قول وتخضع له لغات العرب أجمعين.

ويُعدُّ كتابُ سيبويه أقدم ما وصل إلينا من كتب النحوِ، وقد جمع فيه مؤلفه أكثر علومِ العربية من الأصوات اللغوية والصرف والنحو والضرورات الشعرية. ويُعدّ مصدرًا رئيسًا في دراسة النحو العربي الذي تضافرت على بنائه الأجيال، وإليه يرجعُ الدارسون في كلِّ ما يكتبون عن النحوِ وأصوله. وقد نوّه العلماءُ به تنويهًا عظيمًا، من ذلك قول أبي عثمان المازني تلميذ الأخفش: "من أراد أن يعملَ كتابًا كبيرًا في النحوِ بعدَ سيبويه فَلْيَسْتَحْيِ".[1] ويقول أبو الطيب اللغوي فيه وفي كتابه: "هو أعلم الناسِ بالنحوِ بعدَ الخليلِ، وألَّفَ كتابه الذي سمّاه الناسُ قرآن النحو".[2] ويقول السيرافي: "وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحدٌ قبلَهُ، ولم يلحقْ به مَنْ بعدَه".[3] ويقول المبرد: "لم يُعْمَلْ كتابٌ في علمٍ من العلومِ مثلَ كتاب سيبويه".[4]

وكان القرآنُ الكريمُ وقراءاته مصدرًا مهمًا لسيبويه حينما وضع القواعدَ ودَوَّنَ

---

[1] ضيف، شوقي، **المدارس النحوية** (القاهرة: دار المعارف، ط2، 1968م)، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص60.

[4] المرجع نفسه، ص60.

الأصولَ. لقد حوى كتابه مئات من الآيات القرآنية أورد بعضَهَا على إحدى القراءات، على حين قلب بعضَهَا الآخرَ على أكثر من وجهٍ من وجوهِهَا. وإن موقف سيبويه من القراءات اختلف بين النظرية والتطبيق. فهو يقرِّرُ أنّ القراءة لا تُخَالَفُ لأنها السنة.[1] ولكن بعض العلماء يرون أنه كان يعارض القراءات معارضة صريحةً حينًا ومعارضةً خفيةً حينًا آخر، في حين ذهب الآخرون إلى أن موقفه من القراءات معتدل. ويهدف هذا البحث إلى بيان موقف سيبويه الحقيقي من القراءات القرآنية في تقعيد القواعد النحوية. ومدى صحة الاتهام الموجه إليه.

حجية القرآن الكريم والقراءات في أصول النحو العربي

لقد استقر في وعي الأجيال الإسلامية المتعاقبة وأدبيتها أن القرآن الكريم حجةٌ في اللغة العربية، كما هو حجة في الشريعة الإسلامية. والعلماء مجمعون على أنه أفصح مما نطقت به العرب، وأصح نقلاً، وأبعد منه عن تحريف، مع أنه نزل بلسان عربي مبين. ولا ينكر أحدٌ أنه بلغ من الفصاحةِ ذروته، وأنه أصدقُ نصٍ لغوي يمكن أن يعتمدَ عليه، نظرًا لما أُحِيطَ به جمعه من شروطٍ وضوابطَ تجعلُ الثقةَ كاملةً لا يشوبها شكٌّ في أنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، ولذا هو أجدر المصادر اللغوية بالاعتماد عليه مستقى للقواعدِ وموردًا للشواهد، وقال السيوطي: "أما القرآن فكلُّ ما ورد أنه قُرِئَ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترًا أم آحادًا أم شاذًّا وقد أطبقَ الناسُ على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف معروفًا، بل ولو خالفته يُحْتَجُّ بها في مثل ذلك بعينه وإن لم يَجُز القياسُ عليه، كما يُحتج بالمُجْمَعِ على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه...".[2] وأسلوب القرآن أفصح أساليب العربية

---

[1] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب** (القاهرة: طبعة بولاق، 1316هـ)، ج1، ص74.

[2] السيوطي، جلال الدين، **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق محمد حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1427هـ/2006م)، ص24.

على الإطلاق،[1] ولأن الناس أجمعوا على أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصحُ وأبلغُ مما في غيره بلا اختلاف.[2] والقرآن فوق النحو والفقه والمذاهب كلها؛ فهو أصل الأصول ما وافقه فهو مقبول، وما خالفه فهو مردودٌ ومرذول.[3]

وإذا أخذنا القاعدة من القرآن العظيم فلا يبقى لنا أيّ شك في صحتها. يجب أن يكون هو المصدر الأول في كل تقعيد وتقنين سواء أكانت في القوانين العلمية، أم الاجتماعية، أم الاقتصادية، أم الثقافية، أم السياسية، أم الدولية. وهو الذي ﴿...لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنـــزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42). وهو دستورنا الخالد صالح لكل زمان ومكان حتى يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة، وقد فصّل كل شيء تفصيلاً؛ ﴿...مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وقال تعالى أيضًا: ﴿...وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ (الإسراء: 12). والنص القرآني هو النص الصحيح المُجْمَع على الاحتجاج به في اللغة والنحو، ولم يتوافر لنص من النصوص ما توافر للقرآن الكريم من تواتر رواياته وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متنًا وسندًا، وتدوينها وضبطها بالمشافهة عن أفواه العلماء الأثبات الفصحاء من التابعين عن الصحابة عن رسول الله ﷺ.[4]

وأقرّ النحاةُ بأنه كلامُ اللهِ أُجْرِيَ على كلامِ العبادِ فكلّموا بكلامهم وجاء القرآنُ على لغتِهِمْ وعلى ما يعنون.[5] من هنا ظهرت شواهد القرآن الكريم في كتب النحوِ

---

[1] الأنصاري، أحمد مكي، **سيبويه والقراءات دراسة تحليلية معيارية** (مصر: دار المعارف، د.ت)، ص2.

[2] السيوطي، جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج1، ص257.

[3] رضا، رشيد، **تفسير المنار** (مصر: ط1، د.ن، د.ت)، ص106.

[4] الأفغاني، سعيد، **في أصول النحو** (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1964م)، ص33.

[5] سيبويه، أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ/1988م)، ج1، ص331.

منذ سيبويه. وكان سيبويه يُوْرِدُ شواهدَ القرآن الكريم مقرونةً في الأغلبِ الأكثرِ بما ورد عن العرب من شعرٍ أو نثرٍ، مبتدئًا حينًا بالقرآن، وحينًا بالشعرِ أو النثر، وحينًا بأمثلة يقيسها عما صحّ عن العرب.[1] وليس وراء ذلك إلا توثيق للنصِّ القرآني، وإقرار بحجيته. لكن سيبويه والنحاة من بعده لم يقتصروا في الاستشهادِ على النص القرآني الموحّد، بل ضمّوا إليه قراءاته، والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان كما يقول الزركشي في البرهان، فالقرآن هو الوحي المنـــزل على محمّد صلّى الله بيانًا وإعجازًا، والقراءات اختلافُ ألفاظ الوحي المذكور كتابةً أو نطقًا وضبطًا؛[2] فكان ذلك إيذانًا بتعدد الأوجه الإعرابية، وإقرار قواعد فرعية تنحرف عن القاعدة الأصلية، وفتح باب الجواز في النحو. وهوباب دخل منه خلاف كبير وجدل كثير.[3]

مصدر القراءات عند سيبويه

يقول ابن الجَزري: إن سيبويه أخذ القراءةَ عن أبي عمروبن العلاء، ويظهر إنْ صحَّ ذلك أنه لم يأخذها عنه مباشرةً، وإنما أخذها عن بعض تلاميذه، إذ نراه في الكتاب لا يذكر له مسألةً إلا من طريق الرواية عن بعض هؤلاء التلاميذ وخاصةً يونس بن حبيب، مما يدل على أنه لم يَلْقَهُ. ونظنُّ ظنًّا أنه حمل قراءة الذكر الحكيم عن هارون بن موسى النحوي الذي يتردّدُ ذكره في الكتاب مع بعض القراءات التي يرويها، وكذلك عن أستاذه الخليل وغيره من أئمة القراءات في البصرة لعصره مثل يعقوب بن إسحاق الحضرمي وهو أحد أئمة القراءات العشر.[4]

---

[1] الحديثي، خديجة، **الشاهد وأصول النحو** (الكويت: د.ن، 1974م)، ص32.

[2] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: د.ن، 1957م)، ج1، ص318.

[3] دمشقية، عفيف، **أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي** (بيروت: د.ن، 1978م)، ص26.

[4] ضيف، شوقي، **المدارس النحوية** (القاهرة: دار المعارف، ط1، 1968م)، ص80.

طريقة سيبويه من عرض القراءات ونسبتها لرواتها

طريقة سيبويه من القراءات ونسبتها إلى رواتها لا تختلف عن طريقته من الشعراء أو ممن نقل عنهم العبارات التي استشهد بها في الكتاب. فنصّ على اسم القارئ فيما ثبت عنده نسبة القراءة إليه، وممن نصَّ عليهم: أبيّ بن كعب، وقال: "ومثلُ هذا ﴿وحُورًا عينًا﴾ (الواقعة: 22) في قراءة أُبي بن كعب".[1]

أبوعمرو بن العلاء، وقال: "وكان أبو عمرو يقرأ: ﴿خَاشِعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ (القلم: 43)".[2]

و الأعرج، وقال: "وقرأ الأعرجُ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرُ﴾ (سبأ: 10). فرفع".[3] وقال أيضًا: "وبلغنا أن الأعرج قرأ: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: 54)....".[4]

الحسن البصري، وقال: "كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ* وحُورٌ عِيْنٌ﴾ (الواقعة: 21-22) لمـــّا كان المعنى في الحديث على قوله: لهم فيها، حَمَلَهُ على شيء لا يَنْقُضُ الأولَ في المعنى. وقد قرأه الحسن".[5] وقال أيضًا: "وتصديق ذلك قولُ الحسن: ﴿إِلاّ مَنْ خَطّفَ الخَطْفَةَ﴾ .[6]

---

[1] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م)، ط3، ج1، ص95، والقراءة لأبيّ وعبد الله بن مسعود، تفسير أبي حيان ج 8، ص206، وهي قراءة شاذة.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص43.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص187.

[4] المصدر السابق، ج3، ص134.

[5] المصدر السابق، ج1، ص172، والحق أن قراءة الرفع في ﴿حور عين﴾ هي قراءة الجمهور. وقرأ الحسن والسلمي وعمروبن عبيد وأبوجعفر وشيبة، والأعمش والمفضل وأبان وعصمة والكسائي بجرهما، انظر تفسير أبي حيان، ج8، ص206.

[6] المصدر نفسه، وضبط هذه القراءة من حواشي القراءات الشاذة لابن خالويه، ص127.

عبد الله بن أبي إسحاق، وقال: "وقال تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: 27). فالرفعُ على وجهين: فأحدُهُمَا أن يَشْرَكَ الآخرُ الأوّلَ....وأما عبدُ الله بن أبي إسحاق فكان يَنْصبُ هذه الآية".[1]

عبد الله بن مسعود، وقال: "وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى* نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ (المعارج: 15–16). وزعموا أنّها في قراءة أبي عبد الله).[2] وقال أيضًا: "وزعموا أنّ في قراءة ابن مسعود: ﴿وَأُنزِلَ الملائكةُ تَنـــزِيلاً﴾ (الفرقان: 25)؛ لأن معنى أُنزِلَ ونُزِّلَ واحد".[3]

عيسى بن عمر، وقال: "وكان عيسى يقرأ هذا الحرفَ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (القمر: 10) أراد أن يحكى..".[4] وقال أيضًا: "وقد قال الذين يُخَفّفون: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ الذِي يُخْرِجُ الخَبَءَ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (النمل: 25)، حدّثنا بذلك عيسى وإنما حذفتَ الهمزةَ ههنا لأنك لم ترد أن تُتمَّ وأردتَ إخفاءَ الصوت...".[5]

مجاهد، وقال: "وبلغنا أن مجاهدًا قرأ هذه الآية: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولُ الرسولُ﴾ (البقرة: 214)، وهي قراءة أهل الحجاز".[6]

هارون بن موسى، وقال: "وحدّثنا هارون أنّ ناسًا، وهم الكوفيون يقرؤونها: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا﴾ (مريم: 69)، وهي لغة جيّدة، نصبوها كما جرّوها حين قالوا: امْرُرْ على أَيِّهِمْ أفضلُ، فأجراها هؤلاء مجرى الذي إذا قلت: اضربِ الذي أفضلُ...".[7]

---

[1] المصدر نفسه، ج3، ص44، وهي قراءة ابن عامر، انظر **تفسير أبي حيان**، ج4، ص102، وقرأ حفص وحمزة ويعقوب بنصب (نكذب ونكون). **إتحاف فضلاء البشر**، ص206.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص83، وأبو عبد الله هو عبد الله بن مسعود. انظر: **الكتاب**، ج5، ص186 .

[3] المصدر نفسه، ج4، ص81–82.

[4] المصدر نفسه، ج3، ص143.

[5] المصدر نفسه، ج3، ص545.

[6] المصدر نفسه، ج3، ص25.

[7] المصدر السابق، ج2، ص399.

وإن لم يثبت عنده اسم القارئ نصّ في بعضها على اسم البلد الذي قرأ أهله بهذه القراءة مثل قراءة أهل الحجاز، وقال: "ومثلُ ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ (يوسف: 31) في لغة أهل الحجاز. وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف".[1] وقال أيضًا: "ومثل ذلك قراءة أهل الحجاز: ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولُ الرسولُ﴾ (البقرة: 214)".[2]

أهل الكوفة، وقال: "وقرأ أهل الكوفة: ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ (البقرة: 282) رفعًا".[3] وقال أيضًا: "وإن شئت قلت في تَتَذَكَّرُونَ ونحوها: تَذَكَّرُونَ، كما قلت: تَكَلَّمُونَ، وهي قراءةُ أهل الكوفة فيما بَلَغَنَا".[4]

أهل المدينة، وقال: "وأهل المدينة يقرؤون: ﴿ وَإِن كُلاًّ لَمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ...﴾ (هود: 111) يخفّفون وينصبون".[5] وقال أيضًا: "وأهل المدينة يقولون: ﴿أَنَّهَآ﴾ (الأنعام: 109)".[6]

أهل مكة، وقال: "وقراءة أهل مكة اليوم: ﴿ حتّى يَصْدُرَ الرّعاءُ﴾ (القصص: 23)، بين الصاد والزاي".[7] وقال أيضًا: "وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلاَ تَتَنَاجَوْا﴾ (المجادلة: 9)، فإن شئتَ أسكنت الأوّلَ للمدّ، وإن شئت أخفيت وكان بزنته متحرّكًا. وزعموا أن أهل الكوفة لا يبيّنون التاءين".[8]

فإن لم ينسبها إلى قرّاء مدينة معينة وصحّ عنده أنها بلغة قبيلة من قبائل العرب أشار إلى ذلك عند ذكره القراءة فمنها ما نسبه إلى لغة هذيل وقال: "وأما قول

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص59.
[2] المصدر السابق، ج3، ص26.
[3] المصدر السابق، ج3، ص54.
[4] المصدر السابق، ج4، ص477.
[5] المصدر السابق، ج2، ص140.
[6] المصدر السابق، ج3، ص123.
[7] المصدر السابق، ج4، ص196.
[8] المصدر السابق، ج4، ص440.

بعضهم في القراءة: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (النساء: 58) فحرّك العين فليس على لغة من قال نِعْمَ فأسكن العين، ولكنه على لغة من قال نِعِمَ فحرّك العين. وحدّثنا أبو الخطاب أنّها لغة هُذَيل، وكسروا كما قالوا لِعِبٌ".[1]

وأحيانًا لا يذكر القارئ، كما قال: "ولو قرؤوها: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (الأنبياء: 92) كان جيدًا، (وقد قرئ)".[2] وقال أيضًا: "ولو قُرِئت: ﴿وإنّ المسَاجدَ للهِ﴾ كان حسنًا".[3]

أما في غير هذه المواضع فلم ينسب فيها القراءات إلى قارئ معين – وهذا هو الأغلب- وإنما يكتفي بأن يقول: "وقد قرأ بعضهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾".[4] أو "ألا ترى أنهم قرؤوا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فصلت: 17)" وقبله النصب...".[5] أو "قراءة بعضهم: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لَكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ (الأنعام: 137) رَفَعَ الشركاء على مثل ما رُفِعَ عليه ضارعٌ".[6] أو "وقال قومٌ ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ منصوبةٌ على الأمر".[7] أو ومن الناس من يجر في "قوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ (آل عمران: 13). ومن الناس من يجرّ، والجر على وجهين: على الصفة، وعلى البدل".[8] أو" وبلغنا أنّ بعضهم قرأ هذا الحرفَ نصبًا: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾ لم يجعل الحمّالة خبرًا للمرأة...".[9] أو

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص439- 440.

[2] المصدر السابق، ج3، ص127.

[3] المصدر السابق، ج3، ص127، وقد قرأ بكسر الهمزة طلحة وابن هرمز كما في **تفسير أبي حيان**، ج8، ص352.

[4] المصدر السابق، ج1، ص82.

[5] المصدر السابق، ج1، ص95.

[6] المصدر السابق، ج1، ص290، وهي قراءة الحسن والسلمي، , أبي عبد الملك قاضي الجند صاحب ابن عامر، تفسير أبي حيان، ج4، ص229.

[7] المصدر السابق، ج1، ص382.

[8] المصدر السابق، ج1، ص432، أي يجر في قراءة (فئة)، وهي قراءة مجاهد والحسن والزهري وحميد، تفسير أبي حيان، ج2، ص393.

[9] المصدر السابق، ج2، ص70، هو عاصم ووافقه ابن محيصن، **إتحاف فضلاء البشر**، ص445.

" وقُرِئَ هذا الحرف على وجهين: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ (الأنعام: 32)، بالرفع والنصب".[1] أو "وكما قرأ بعض الناس هذه الآية: ﴿تَمَامًا عَلَى الذِي أَحْسَنُ﴾".[2] أو " وقد قرأ ناسٌ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ﴾ (فصلت: 10): قال: الخليل: جعله بمنـــزلة مستويات".[3] أو " وقد قرأ الناسُ هذه الآية على وجهين: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾ (سبأ: 48)، و﴿عَلاَّمَ الغُيُوبِ﴾".[4] أو" وحدّثنا عيسى أن ناسًا كثيرًا يقرؤونها: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الزخرف: 76)".[5] أو "وزعم الخليل رحمه الله أن بعضهم قرأ: ﴿وَمَن تَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الأحزاب: 31) فجُعِلَتْ كصلة التي حين عنيتَ مؤنثًا".[6] أو "وزعم هارون أنها في بعض المصاحف: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾ (القلم: 9).[7] أو "وقد قال قوم: ﴿وَلاَ تَنْسَوِا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: 237)".[8] أو "وحدّثني الخليل وهارون أن ناسًا يقولون: ﴿مُرْدِفِين﴾ (الأنفال: 9).[9] أو "وقد قُرِئَ بها: ﴿بَتُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيا﴾ (الأعلى: 16), فأدغم اللام في التاء".[10]

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص91.

[2] المصدر السابق، ج2، ص109. وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق والحسن والأعمش، **الإتحاف**، ص220.

[3] المصدر السابق، ج2، ص119، وقراءة الجمهور بالنصب على الحالية، وقرأ أبوجعفر (سواءٌ) بالرفع. وقرأ زيد والحسن وابن أبي إسحاق وعمروبن عبيد وعيسى ويعقوب (سواءٍ) بالخفض، نعتًا لأربعة أيام، تفسير أبي حيان: ج7، ص486.

[4] المصدر السابق، ج2، ص147، وقراءة الرفع قراءة الجمهور. وقراءة النصب لعيسى وابن أبي إسحاق وزيد بن علي وابن أبي عبلة وأبي حيوة وحرب عن طلحة، **تفسير أبي حيان**، ج7، ص292.

[5] المصدر السابق، ج2، ص393، و﴿الظالمو﴾ قراءة عبد الله وابي زيد النحويّين، تفسير أبي حيان: ج8، ص27.

[6] المصدر السابق، ج2، ص415، وهذه قرءاة الجحدري والأسواري ويعقوب في رواية، وكذا ابن عامر في رواية، ورويت عن أبي جعفر وشيبة ونافع. **تفسير أبي حيان**، ج7، ص228.

[7] المصدر السابق، ج3، ص36.

[8] المصدر السابق، ج4، ص155، وهي قراءة يحيى بن يعمر، على أصل التخلص من التقاء الساكنين، تفسير أبي حيان: ج2، ص38.

[9] المصدر السابق، ج4، ص444، وهي قراءة شاذة، **المحتسب** لابن جني، ج1، ص272.

[10] المصدر السابق، ج4، ص459، وهي قراءة الكسائي وهشام، **الإتحاف**، ص437.

موقف سيبويه من القراءات

وإذا أنعمنا النظرَ في كتاب سيبويه ظهر لنا أنه اعتمد على القرآن الكريم وقراءاته في الاستشهاد واستنباط القواعد، وقد أحصى أحد الباحثين شواهد القرآن الكريم في كتاب سيبويه من خلال فهرست كتاب سيبويه الذي وضعه الأستاذ أحمد راتب النفاخ، فوجد أن عددها ستة وتسعين وثلثمائة شاهد، وشواهد القراءات منها نحو سبعة وخمسين ومائة شاهد، أي أن نسبتها تصل إلى 40% تقريبًا من مجموع الشواهد القرآنية، وهي نسبة عالية تبرز اهتمامه بالقراءات، واعتماده عليها.[1]

وتتبين كيفية تعامل سيبويه مع القراءات القرآنية مما يأتي:

1. قياسه على القراءة واعتبارها الأصل

إن موقف سيبويه من القراءات القرآنية يختلف باختلاف الموضع الذي يتحدث فيه، ففي بعضها يقيس على القراءة ويعتبرها الأصلَ كما فعل عند كلامه على إجراء صلة (مَنْ) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللذين) وإذا عنيت جميعًا كصلة (الذين) ويذكر عن شيخه موافقًا على رأيه: "وزعم الخليل رحمه الله أن بعضهم قرأ: ﴿وَمَنْ تَقْنُتْ منكُنَّ للهِ ورَسُولِه﴾ (الأحزاب: 31)؛ فجُعِلَتْ كصلة التي حين عنيتَ مؤنثًا. فإذا ألحقت التاءَ في المؤنث ألحقتَ الواو والنون في الجميع".[2] فقاس إلحاق الواو والنون في الجمع على إلحاق التاء في المؤنث. وكذلك وقع القياس في القراءة وقال: "وقد قرأ ناسٌ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ﴾ (فصلت: 10). قال الخليل: جعله بمنـــزلة مستوِيات. وتقول: هذا درهمٌ سواءٌ، كأنك قلت: هذا درهمٌ تامٌ".[3] حيث قاس مصدر (سواء) في المثال الذي جعله بمعنى اسم الفاعل (تام)، على المصدر (سواء) في

---

[1] نحلة، محمود أحمد، **أصول النحو العربي** (بيروت: دار العلوم العربية، 1407هـ/1987م)، ص34.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص415- 416.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص119.

الآية، الذي قرئ بالجر بمعنى اسم الفاعل مستويات.

وكذلك نراه يقيس على إحدى القراءات، ويقول: "وأمَّا قوله عزّ وجلّ: ﴿إِن تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ (الكهف: 39) فقد تكون أنا فصلاً وصفةً، وكذلك ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل: 20). وقد جعل ناسٌ كثيرٌ من العرب هُوَ وأخواتها في هذا الباب بمنـــزلة اسم مبتدأ وما بعده مبنيٌّ عليه؛ فكأنك تقول: أَظُنُّ زيدًا أبوه خيرٌ منه، (ووجدتُ عمرًا أخوه خيرٌ منه). فمن ذلك أنّه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أَظُنُّ زيدًا هو خيرٌ منك. وحدّثنا عيسى أنّ ناسًا كثيرًا يقرؤونها: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الزخرف: 76)".[1] فسيبويه قاس ورود (هو وأخواتها) بمنـــزلة اسم مبتدأ وما بعده خبر، على قراءة عبد الله وأُبَيّ الشاذة (هم الظالمون) حيث جعل (هم) مبتدأ و(الظالمون) خبرًا له. وقراءة الجمهور ﴿هم الظالمين﴾.

2. حمل بعض القراءات على كلام العرب

نرى سيبويه يحمل بعض القراءات على ما يراه أساتذته القياس على كلام العرب لكونها لغة جيدة وهو يقول: "وسألتُ الخليل رحمه الله عن قولهم: اضرِبْ أَيُّهُمْ أفضلُ؟ فقال: القياس النصب، كما تقول: اضرب الذي أفضلُ؛ لأن أَيًّا في غير الجزاء والاستفهام بمنـــزلة الذي، (كما أنّ مَنْ في غير الجزاء والاستفهام بمنـــزلة الذي). وحدَّثَنَا هارون أنّ ناسًا، وهم الكوفيون يقرؤونها: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيَّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، وهي لغة جيدة، نصبوها كما جرّوها حين قالوا: امْرُرْ على أَيِّهِمْ أفضلُ، فأجراها هؤلاء على مجرى الذِي إذا قلت: اضربِ الذي أفضلُ؛ لأنك تُنْزِلُ أَيًّا ومَنْ منـــزلةَ الذِي في غير الجزاء والاستفهام.[2] فحمل نصب (أيهم) في الآية

[1] المصدر نفسه، ج2، 392- 393.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص398- 399.

على جر (أيهم) في كلام العرب.

3. حمله القراءات المخالفة لسواد المصحف على اللغات:

وكان يحمل القراءات المخالفة لسواد المصحف على اللغات حيث قال: "(واعلمْ أنّ بُقْيانَ الياء لغة في النداء في الوقف والوصل، تقول: يا غلامِي أقْبِلْ. وكذلك إذا وقفوا.

و) كان أبوعمرو يقول: ﴿يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر: 16)".[1] قرأ رويس بخلف عنه بإثبات الياء في (يا عباد) في الحالين، والباقون بحذفها.[2] وتحذف الياء في المنادى بكثرة، وعدم حذفه حمله على اللغة في النداء.

وكذلك قوله: "وأما قول بعضهم في القراءة: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (النساء: 58) فحَرَّكَ العين فليس على لغة من قال نِعْمَ فأسكن العين، ولكنه على لغة من قال: نِعِمَ فحرّك العين. وحدّثَنَا أبو الخطاب أنّها لغة هُذَيل، وكسروا كما قالوا لِعِبٌ".[3]

يبدو من قول سيبويه أن بعض الناس قرؤوا ﴿نِعِمَّا﴾ وفي الحقيقة هي قراءة الجمهور. وقد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف. وافقهم الأعمش ﴿نَعِمَّا﴾ بفتح النون وكسر العين. وقرأ قالون وأبو عمرو وشعبة بخلف عنهم، وأبوجعفر. وافق اليزيدي، والحسن أبا جعفر ﴿نِعْمَا﴾ بكسر النون وسكون العين.[4]

وكذلك قوله: "ومثلُ ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا...﴾ (يوسف: 31) في لغة أهل الحجاز. وبنو تميم يَرْفَعُونها إلاّ من دَرَى كيف هي في المصحف".[5] هنا يذكر أن بني تميم قرؤوا ﴿بشرا) بالرفع خلافًا المصحف على لغة قبيلتهم لجهلهم القراءة الصحيحة فيها.

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص210.

[2] خاروف، محمد فهد، **الميسّر في القراءات الأربع عشر** (بيروت: دار الكلم الطيب، 1420هـ/2000م)، ص460.

[3] سيبويه، **الكتاب**، ج4، ص439- 440.

[4] خاروف، محمد فهد، **الميسر في القراءات الأربع عشر**، ص87.

[5] سيبويه، **الكتاب**، ج1، ص59.

4. قياسه ما سمعه من العرب على القراءات:

سيبويه أحيانًا يقيس ما سمعه من العرب على القراءات، وهو يقول: "وقال الخليلُ رحمه الله من قال يا زيدُ والنَّضْرَ فَنصَبَ؛ فإنما نصب لأنّ هذا كَانَ من المواضع التي يُرَدُّ فيها الشيءُ إلى أصله. فأمّا العربُ فأكثرَ ما رأيناهم يقولون: يا زيدُ والنضرُ. وقرأ الأعرجُ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرُ﴾ (سبأ: 10)، فرفع. ويقولون: يا عمرُو والحارثُ، وقال الخليل رحمه الله: هو القياسُ، كأنه قال: ويا حارثُ".[1] وسيبويه هنا قاس كلام العرب في رفع المعطوف المرفوع على المنادى الذي هو علم، على قراءة رفع (الطير) الذي هو معطوف على (جبال).

أو يقيس ما سمعه من العرب ممن يثق بهم من الرواة على القراءات ويقول: "وحدَّثنا من نثق به، أنه سمع من العرب من يقول: إنْ عمرًا لَمُنطلقٌ. وأهل المدينة يقرؤون: ﴿وَإِن كُلاًّ لَمَا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ...﴾ (هود: 111) يُخفّفون وينصبون".[2]

القرّاء في هذه الآية على أربع مراتب:

الأولى: لنافع وابن كثير بتخفيف نون (وإنْ) وميم (لَما) وذلك على إعمال المخففة من المثقلة.

الثانية: لأبي عمرو والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بتشديد نون (وإنّ) وتخفيف لام (لَمَا) وذلك على أنّ (إنّ) المشددة عاملة على أصلها.

الثالثة: لابن عامر وحفص وحمزة وأبي جعفر بتشديد نون (وإنّ) ولام (لما) فإن المشددة عاملة.

الرابعة: لشعبة بتخفيف النون وتشديد الميم، على أن (إنْ) نافية و(لما) بمعنى (إلا)

---

[1] المصدر نفسه، ج2، ص186- 187.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص140.

منصوبة بفعل يفسره (ليوفينهم).[1]

وسيبويه قاس (إنِ) المخففة العاملة في الاسم النصب على قراءة التخفيف في (إنْ) التي عملت في (كلاً).

5. ترجيحه بين القراءتين الواردتين في الآية:

أحيانًا يورد في الآية قراءتين مختلفتين يستشهد بهما معًا ويرجح بينهما بالكثرة، وقال: "وقد قُرِئَ هذا الحرفُ على وجهين: ﴿قُلْ هِيَ لِلذين آمَنُوا فِي الحياةِ الدُّنيا خَالِصَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ....﴾ (الأنعام: 32)، بالرفع والنصب. وبعض العرب يقول: هو لك الجَمَّاءُ الغفيرُ، يرفع كما يرفع الخالص. والنصب أكثرُ؛ لأن الجمّاءَ الغفيرَ بمنـــزلة المصدر؛ فكأنه قال هو لك خُلوصًا. فهذا تمثيلٌ ولا يُتكلّمُ به".[2] فسيبويه رجّح قراءة النصب على الرفع. وقال النصب أكثر.

وقد يرجح بين القراءتين ويصف إحداهما بأنها أجود من الأخرى وإن كانت الأخرى عربية كثيرة كما يقول: "ومثلُ ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ...﴾ (فصلت: 17). وإنما حَسُنَ أن يُبْنَى الفعلُ على الاسم حيث كان مُعْمَلاً في المُضْمرِ وشَغلته به، ولولا ذلك لم يحْسُنْ؛ لأنّك لم تشغله بشيء....وقد قرأ بعضهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ...﴾ ...فالنصبُ عربي كثيرٌ، والرفعُ أجودُ".[3]

أو أن يصفَ إحدى القراءتين بأنها أحسنُ أو أكثر، ويقول: "فأمّا الثبات فقولك: ضَرَبَهُو زيدٌ، وعَلَيْهَا مالٌ، ولَدَيهُو رجلٌ. جاءت الهاءُ مع ما بعدها ههنا في المذكر كما جاءت وبعدها الألف في المؤنث، وذلك قولك: ضَرَبَهَا زيدٌ، وعَلَيْهَا مالٌ. فإذا كان قبل الهاء حرفُ لينٍ فإنّ حذف الياء والواو في الوصلِ أحسنُ؛ لأن الهاء من مَخْرَجِ الألف، والألف تُشْبِه الياء والواو، تُشبههما في المدّ، وهي أختُهما، فلمّا

---

[1] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج3، ص119- 120.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص91-92.

[3] المصدر السابق، ج1، ص81- 82.

اجتمعت حروفٌ متشابهةٌ حذفُوا. وهو أحسنُ وأكثرُ. وذلك قولك: عَلَيه يا فتى، ولَدَيه فلان، ورأيتُ أباهُ قبلُ، وهذا أبوهُ كما ترى. وأحسنُ القراءتين: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنـــزِيلاً﴾ (الإسراء: 106)، و﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيه يَلْهَثْ﴾ (الأعراف: 176)، و﴿شَرَوْهُ بَثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (يوسف: 20)، و﴿خُذُوهُ فَغُلُّوه﴾ (الحاقة: 30). والإتمام عربيٌّ".[1]

وقد يبين قوة إحدى القراءتين ولكن الأخرى هي المتداولة بين الناس، وقال: "وقد قرأ أناسٌ: ﴿وَالسَّارِقَ والسَّارِقَةَ﴾ (المائدة: 38) و﴿الزَّانِيةَ وَالزَّانِيَ﴾ (النور: 2)، وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة. ولكن أَبَتِ العامّةُ إلا القراءةَ بالرفعِ".[2]

6. عدم ترجيحه بين القراءتين المختلفتين في الآية:

سيبويه أحيانًا يذكر القراءتين في الآية دون الترجيح بينهما، وقال: "وقد قرأ الناسُ هذه الآيةَ على وجهين: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحقِّ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾ (سبأ: 48)، و﴿عَلاَّمَ الغُيُوبِ﴾. وقال أيضًا: "وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً﴾ (الأنبياء: 92). وقد قرأ بعضُهُمْ: ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَّاحِدَةٌ﴾ حَمَلَ أُمَّتَكُمْ على هذه، كأنه قال، إن أَمَّتَكُمْ كَلَّهَا أُمَّةٌ واحدةٌ".[3] وقال أيضًا: "وقد قُرِئَ هذا الحرفُ على وجهين، قال بعضهم: ﴿وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا﴾ (طه: 119), وقال بعضهم: ﴿وَأَنَّكَ﴾".[4]

7. ذكر القراءات المختلفة مع بيان الوجه لها:

قال سيبويه: "واعلمْ أنّ الهمزتَين إذا التقتا وكانت كلّ واحدةٍ منهما من كلمة؛ فإن أهل التحقيق يُخَفِّفون إحداهما ويَستثقلون تحقيقَها لما ذكرتُ لك، كما استثقل

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج4، ص189.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص144، وقراءة النصب في (السارقَ والسارقةَ) قراءة عيسى بن عمر، وابن أبي عبلة، تفسير أبي حيان: ج3، ص476. وأما قراءة النصب في (الزانيةَ والزانيَ) فقد قرأها عيسى ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبوجعفر وشيبة وأبوالسمال ورويس. **تفسير أبي حيان**، ج6، ص427.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص147- 148.

[4] المصدر نفسه، ج3، ص123. قرأ بكسر الهمز نافع وأبوبكر، والباقون بفتحها انظر **الإتحاف**، ص308.

أهلُ الحجاز تحقيقَ الواحدة. فليس من كلام العرب أن تلتقيَ همزتان فتُحقّقا، ومن كلام العرب تخفيفُ الأولى وتحقيقُ الآخرة، وهو قول أبي عمرو. وذلك قولك: ﴿فَقَدْ جَا أَشْرَاطُهَا﴾ (محمد: 18)، و﴿يَا زَكَرِيّا إِنّا نُبَشِّرُكَ﴾ (مريم: 7). ومنهم من يحقّق الأولى ويخفّف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: فقدْ جاء أشراطها، ويا زكرياء انّا...

وكان الخليلُ يَستحبُّ هذا القولَ فقلتُ له: لِمَهْ؟ فقال: إني رأيتُهم حين أرادوا أن يُبدلُوا إحدى الهمزتين اللتين تَلْتقيان في كلمة واحدة أبدلوا الآخرة، وذلك: جائي وآدم. ورأيتُ أبا عمرو أخذ بهنّ في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا وَيْلَتَا أَالِدُ وأنا عجُوزٌ﴾ (هود: 72)، وحقّقَ الأولى. وكلٌّ عربيٌّ. وقياس من خفّف الأولى أن يقول: يَا ويلتَا أَالِدُ".[1]

8. تفسير القراءة وتأويلها التي جاءت على غير المشهور

سيبويه يفسّر ويؤول القراءة التي جاءت على غير المشهور من أوجه التعبير أو على الاستعمال القليل فيه، حتى يعيدها إلى القياس أو يسأل عنها أحد شيوخه ليخرّجها تخريجًا يبعدها عن الضعف أو الشذوذ أو القلة.[2] ويقول: "وسألتُهُ عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 109)، ما منعها أن تكون كقولك: ما يُدْرِيك أن لا يفعلُ؟ فقال: لا يَحْسنُ ذا في ذا الموضعِ، إنما قال: ومَا يُشْعِرُكُمْ، ثم ابتدأ فأوجب (فقال): إنها إذا جاءت لاَ يُؤْمِنُون. ولو قال: وما يُشْعِرُكُمْ أنَّها إذا جاءت لاَ يُؤْمِنُونَ، كان ذلك عُذْرًا لهم. وأهل المدينة يقولون: (أنّها). فقال: الخليل: هي بمنـــزلة قول العرب: ائت السُّوقَ أَنَّكَ تَشتري لنا شيئًا، أي: لَعَلَّكَ، فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون".[3]

وكذلك قوله: "وبَلَغَنَا أنّ أهل المدينة يَرْفَعُونَ هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج3، ص548- 549.

[2] الحديثي، د. خديجة، **دراسات في كتاب سيبويه** (الكويت: وكالة المطبوعات، د.ت)، ص46.

[3] سيبويه، **الكتاب**، ج3، ص123.

يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورة: 51) فكأنه والله أعلم قال الله عزَّ وجلَّ: لاَ يُكَلِّمُ اللهُ البشرَ إلا وحيًا أو يُرْسِلُ رسولاً، أي في هذه الحال وهذا كلامُهُ إِيَّاهُمْ، كما تقول العربُ: تحيّتُكَ الضربُ، وعِتَابُكَ السيفُ، وكلامُكَ القتلُ".[1]

9. دعم بعض القراءات بالشعر:

قال في باب (أو) متحدثًا عن الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحيًا...﴾ (الشورى: 51). " بلغنا أن أهل المدينة يرفعون هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحيًا أَوْ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ فكأنه والله أعلم قال الله عزّ وجلّ: لا يُكَلِّمُ اللهُ البشرَ إلاّ وحيًا أو يُرْسِلُ رسولاً، أي في هذه الحال وهذا كلامه إياهم، كما تقول العربُ: تحيّتُكَ الضربُ وعتابُكَ السيفُ، وكلامُكَ القتلُ. وقال الشاعر، وهو عمرو ابن معدي كرب:

وَخَيلٍ قد دَلَفتُ لها بِخَيلٍ تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ".[2]

10. وتخريج إحدى القراءات اعتمادًا على تخريج بيت من الشعر:

يقول في باب ما يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنـــزلة المثل، قال: وإنشاد بعضهم للحارث بن نهيك:[3]

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لخصُومةٍ ومُخْتَبِطٍ مِمَّا تُطِيحُ الطوائحُ

لـــمَّا قال: لِيُبْك يزيدُ، كان فيه معنى لِيَبْك يزيدَ، كما كان في القَدَمِ أنَّها مسالمة، كأنه قال: لِيَبْكِه ضارِعٌ.... ومثلُ: لِيُبْكَ يزيدُ، قراءة بعضهم: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ...﴾ (الأنعام: 137) رَفَعَ الشركاء

---

[1] المصدر نفسه، ج3، ص50.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج3، ص50، وقد نسب إليه هذا البيت ولكنه مختلف فيه.

[3] البيت في الخزانة، ج1، ص147، والعيني،ج2، ص454، وابن يعيش، ج1، ص80.

على (مثل) ما رُفِعَ عليه ضارعٌ".[1]

11. **اللجوء إلى القراءة لتقوي أصلاً من أصول كتابه** فيقول فيما يجري من الشتم مجرى التعظيم، وما أشبهه:

تقول: أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ: لم يرد أن يكرّره ولا يعرّفك شيئًا تُنْكرُهُ، ولكنه شتمه بذلك. وبلغنا أنّ بعضهم قرأ هذا الحرفَ نصبًا: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾ (المسد: 4) لم يَجْعَل الحمّالةَ خبرًا للمرأة، ولكنّه كأنه قال: أَذكُرُ حمَّالةَ الحطب، شتمًا لها، وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهارُهُ. (و) قال عُرْوة الصَّعاليك العبسي:

سَقَوْنِي الخَمْرَ ثُمَّ تَكَنّفوني عُدَاةَ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ[2]

إنّما شَتَمهم بشيءٍ قد استقرّ عند المخاطبين".[3]

12. ويستدل بقراءة ابن مسعود في باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة: "وذلك قولك: هذا عبدُ الله منطلقٌ، حدّثنا بذلك يونسُ وأبو الخطّاب عمن يُوثَقُ به من العرب. وزعم الخليل رحمه الله أنّ رفعه يكون على وجهين: فوجهٌ أنك حين قلت: هذا عبدُ الله أضمرتَ هذا أو هُوَ، كأنّك قلت هذا منطلقٌ أو هو منطلقٌ. والوجهُ الآخرُ: أن تجعَلَهَا جميعًا خبرًا لهذا، كقولك: هذا حُلْوٌ حَامِضٌ، لا تريد أن تَنقض الحَلاوةَ، ولكنّك تزعم أنه جمع الطَّعمين. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى* نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ (المعارج: 15). وزعموا أنها في قراءة أبي عبد الله. ﴿هَذَا بَعْلِي شَيْخٌ﴾ (هود: 72)".[4]

13. عدم التقيد برسم المصحف الإمام: وقد يستشهد بقراءة بَلَغَهُ ورودها في

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج1، ص288- 290، وهي قراءة الحسن والسلمي، وأبي عبد الملك ابن عامر، البحر المحيط، ج4، ص229.

[2] البيت في ديوانه، ص90، **ومجالس ثعلب**، ص417، واللسان (نسأ).

[3] سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص70.

[4] المصدر السابق، ج2، ص83.

بعض المصاحف من غير أن يشير إلى هذا المصحف أو يبينه، ثم يؤكد هذا بسماعه إياها عن العرب، بيانه على النحو الآتي:

1. قال سيبويه: "وبَلَغَنَا أنّ هذا الحرفَ في بعض المصاحف: ﴿وَإِذَنْ لاَ يَلْبَثُوا خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: 76). وسمعنا بعضَ العرب قرأها فقال: ﴿وإِذَنْ لاَ يَلْبَثُوا﴾ وأما الإلغاء فقولك: فإذنْ لا أجيبك. وقال تعالى: ﴿فَإِذَنْ لاَ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾".[1] هنا استشهد سيبويه على جواز إلغاء (إذن) وإعمالها. إذا كانت بين الواو والفعل يصح العمل، وأما إذا كانت بين الفاء يصح الإلغاء كما ورد القرآن الكريم. وهو يعتمد على صحة العمل على القراءة الشاذة.

2. وقال أيضًا: "وتقول: وَدَّ لو تأتيه فتحدِّثَهُ. والرفع جيّد على معنى التمني. ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: 9). وزعم هارون أنها في بعض المصاحف: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾.[2] هنا يقرر جواز رفع الفعل المضارع ونصبه إذا وقع في جواب (**لو**) بعد الفاء. واعتمد على قرار النصب على القراءة بدون تحديد القارئ والمصحف.

يتبين لنا من خلال عرضنا للقراءات أن سيبويه قد استخدم القراءات كثيرًا، كما يتضح لنا أيضًا أنه كان يراها موافقة للأصول العربية أو للغات العرب الذين يستشهد بكلامهم وأساليبهم من شعرٍ ونثرٍ؛ فإن بَعُدَ بعضها عن الاستعمال أو المشهور وجّهه توجيهًا يردُّهُ إلى المشهور والكثير الغالب. وإن ورد منها ما خالف القياس واللغة الفصحى أرجعه إلى إحدى لغات العرب وذكر المتكلمين بهذه اللغة وسمّاها كلغة هذيل وتميم ونحوها، أو لم يذكر المتكلمين بهذه اللغة و لم ينص عليها واكتفى بقوله: إنها على لغة من لغات العرب، أو سمعها من عربي، أو هو قول العرب،

---

[1] المصدر السابق، ج3، ص13، وقراءة النصب هذه هي قراءة أبي وعبد الله ابن مسعود، **تفسير البحر المحيط**، ج6، ص66.

[2] المصدر السابق، ج3، ص36.

أو قول عامة العرب، ونحو ذلك من العبارات التي ليس فيها مطعن في القارئ ولا في القراءة من قريب أو بعيد. وقد يتأول هو أو أحد شيوخه ما ورد في القراءة المخالفة لسواد المصحف أو للقراءة المشهورة بوجه من الوجوه الحسنة كي لا ينكرها أو يردها.

أقوال العلماء في موقف سيبويه من القراءات

1. د. أحمد مكي الأنصاري الذي يرى أن سيبويه وقف من القراءات موقف المعارضة الصريحة في ثلاث قراءات، وهي كالآتي:

أولاها: قراءة النصب في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: 21) بنصب (سَوَاءً). ويقول: "ثم جاء سيبويه- رحمه الله- فوصف قراءة النصب بالقبحِ والرداءةِ وهي قراءة سبعية كما ترى.[1] وأورد دليلاً على ذلك قول سيبويه: "واعلمْ أنّ ما كان في النكرة رفعًا غير صفة فإنه رفعٌ في المعرفة. من ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿أَمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وتقول: مررتُ بعبد الله خيرٌ منه أبوه. فكذلك هذا وما أشبهه. ومن أجرى هذا على الأوّل فإنه ينبغي له أن يَنصبه في المعرفة فيقولَ: مررتُ بعبد الله خيرًا منه أبوه. وهي لغةٌ رديئةٌ"... ولو قلت: مررتُ بخيرٍ منه أبوه كان قبيحًا".[2]

الثانية: قراءة إبدال الهمزة ياءً في الوصل في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: 77). قال سيبويه: "وزعموا أن أبا عمرو قرأ: (يا صَالِحُيْتِنَا) جعل الهمزةَ ياءً، ثم لم يقلبْها واوًا. و لم يقولوا هذا في الحرف الذي ليس منفصلاً. وهذه لغة ضعيفة؛ لأن قياس هذا أن تقول: يا غُلامُوجَلْ".[3]

---

[1] الأنصاري، أحمد مكي، **سيبويه والقراءات** (القاهرة: د.ن، 1972م)، ص17.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص33- 34.

[3] **المصدر نفسه**، ج4، ص338.

الثالثة: قراءة الرفع في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الذي أَحْسَنُ﴾ (الأنعام: 154) قال د. الأنصاري: "أما سيبويه ومن لفّ لفَّه من البصريين والمتبصرين فإنهم يهاجمون هذه القراءةَ ويرمونها بالضعفِ والقبحِ والشذوذ...".[1] وأورد قول سيبويه: "واعلمْ أنّ كَفَى بنا فَضْلاً على مَنْ غيرُنا أجودُ وفيه ضعفٌ إلا أن يكونَ فيه هُوَ، (لأنّ هُوَ من بعض الصلة)، وهو نحو مررتُ بأيّهم أفضلُ، وكما قرأ بعضُ الناس هذه الآية: ﴿تَمَامًا عَلَى الذي أَحْسَنُ﴾.

واعلمْ أنه يقبح أن تقول هذا مَنْ منطلقٌ إذا جعلتَ المنطلقَ حشوًا أو وصفًا، فإن أطلتَ الكلامَ فقلت مَنْ خيرٌ منك، حسُنَ في الوصفِ والحشو.

زعم الخليل رحمه الله أنه سمع من العرب رجلاً يقول: ما أنا بالذي قائلٌ لك سُوءًا، وما أنا بالذي قائلٌ لك قبيحًا. فالوصف بمنـــزلةِ الحشو (المُحشوّ) لأنه يَحسن بما بعده كما أنّ الحشو (المحشوّ) إنما يتمّ بما بعده".[2]

ثم عقّب عليه بالقول: "فأنت ترى أن سيبويه- رحمه الله- وصف هذا الصنيع بالضعف والقبح، وتصدى للآية فذكرها صراحةً حين قال: (وكما قرأ بعض الناس هذه الآية: ﴿تَمَامًا عَلَى الذي أَحْسَنُ﴾.[3]

وقد ردّ عليه د. رمزي بعلبكي هذا الزعم، ونفى أن يكونَ في الأمثلة السابقة معارضة صريحة، وقال: إن الأمثلة الثلاثة التي ذكرها الأنصاري دليلاً لا يقبل الجدل على ما قاله من معارضة سيبويه الصريحة الاحتجاج بالقراءات ليست صريحةً كما أراد لنا الأنصاري أن نعتقد، ففي المثال الأول يزعم الأنصاري أنّ سيبويه وصف قراءة: ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بنصب (سواءً) بأنها قبيحة ورديئة، مع أن سيبويه في حقيقة الأمر لم يشر إشارةً مباشرة إلى قراءة النصب، ولا أجرى عليها حكمه القيمي، وإنما أشار إلى قراءة الرفع مثالاً

---

[1] الأنصاري، أحمد مكي، **سيبويه والقراءات**، ص27.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج2، 107- 108.

[3] الأنصاري، أحمد مكي، **سيبويه والقراءات**، ص28.

للاستعمال الصحيح مقارنًا بجملة (مررت بعبد الله خيرٌ منه أبوه)، وقال: إن استعمال (خيرًا): بدل (خير) لغة رديئةٌ؛ فليس هذا دليلاً صريحًا على رفض القراءة، إلا إذا كان من الممكن إثبات أن قراءة (سواءً) كانت في ذهنه حين ذكر ذلك، ومن المنطقي أن وصفه لـــ (خيرًا) بأنها لغة رديئة لا يمكن أن يشمل (سواءً) دون حجة أقوى من هذه؛ إذ لا يمكن بحال إثبات أن سيبويه كان على علم بهذه القراءة.[1]

وفي المثال الثاني يرى د. بعلبكي أن من الطريف أن نلحظ أن سيبويه وصف اللغة ولم يصف القراءة بالضعف، ولعلّ في هذا دليلاً آخر على احترام سيبويه للقراءات؛ لأنه عند مقارنة القراءة بلغة من لغات العرب يتجنب الوقوع في النقد الصريح للقراءة، ويعمد إلى وصف المثال بالضعف.[2]

وفي المثال الثالث يرى د. بعلبكي أن سيبويه أشار إلى هذه القراءة ﴿تَمَامًا عَلَى الذي أَحْسَنُ﴾ في سياق حديثه عن شطر بيت من الشعر هو: (وكفى بنا فضلاً على من غيرنا)، فضّل فيه غيرُنا بالرفع على غيرِنا بالكسر.[3] من الواضح في نص سيبويه أنه حين قال: "أجود وفيه ضعف أعقب ذلك بقول: "إلا أن يكون فيه (هو)؛ لأن هو من بعض الصلة" أي أننا إذا اعتبرناه خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره هو فقد برئ من الضعف؛ لأن الصلة عندئذ تكون جملة تامة، على نحو ما قرأ بعضهم ﴿تَمَامًا عَلَى الذي أَحْسَنُ﴾ أي، هو أحسنُ. ومن ثم كان د. بعلبكي على حق حين قال: "من المبالغة الزعم بأن سيبويه عارض قراءات معينة معارضة صريحة".[4]

وقد مضى د. الأنصاري يسوق قراءات يرى سيبويه عارضها معارضةً خفيةً منها قراءة النصب في قوله تعالى: ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ...﴾ (هود: 78) بنصب

---

[1] Rohi Baalbaki, "The treatment of Qiraat by the second and third century grammarians", In: *Zeit Schrift fur Arabische Linguistik*, 15- 85. P. 17- 18.

[2] المصدر نفسه، ص18.

[3] المصدر نفسه، ص18-19.

[4] المصدر نفسه، ص19.

(أطهر)،[1] وقراءة إسكان التاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، (النور: 15)[2] وقراءة النصب في قوله تعالى ﴿كُنْ فَيَكُونَ﴾، (ياسين: 82) بنصب (يكونَ)،[3] وتحقيق الهمز في (نبي) و(بريّة)، وإسكان حرف الإعراب المتحرك في نحو قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾، (البقرة: 54)[4] وهمز (معائش) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾، (الأعراف: 10)[5] واستعمال (ودع) ماضي (يدع) في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.[6] (الضحى: 1-3)، ثم أعقب ذلك بقوله: "والخلاصة أنّ سيبويه رحمه الله- كان يتصدى لبعض هذه القراءات ويعارضها معارضةً خفيةً دون أن يذكر نص الآية بصراحة، ولكنه يضع القاعدة التي تصطدم بهذه القراءة وتعارضها أشدّ المعارضة".[7]

2. ويذهب د. شعبان صلاح مذهب د. أحمد مكي الأنصاري في الآيات الثلاث التي أشار فيها إلى أن سيبويه عارض فيها معارضة صريحة، ولكنه يضيف آيةً أخرى ذكرها الأنصاري من ضمن الآيات التي يعارض فيها سيبويه معارضة خفية.

أ. قرأ بعض القراء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الذِي أَحْسَنَ... ﴾(الأنعام: 154) برفع (أحسنُ)، على أنها خبر لمبتدأ محذوف والجلمة صلة الموصول، فحذف العائد المرفوع رغم قصر الصلة، وهو ما ارتضاه الكوفيون[8] غير أن سيبويه لم يرتضِ ذلك وحكم على مثل هذا الأسلوب بالضعف فقال: "واعلمْ أنّ: كفى بنا فضْلاً على مَنْ

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج1، ص423.

[2] محيسن، محمد سالم، **المهذب في القراءات العشر**، ص7.

[3] العكبري، **إملاء ما من به الرحمن**، ج1، ص35.

[4] سيبويه، الكتاب، ج2، ص297.

[5] أبوحيان، **تفسير البحر المحيط**، ج4، ص271.

[6] الأنصاري، أحمد مكي، **سيبويه والقراءات**، ص39 وما بعدها.

[7] المرجع نفسه، ص103.

[8] الأزهري، خالد، **شرح التصريح على التوضيح** (القاهرة، د.ن، 1312هـ)، ج1، ص144.

غيرُنا أجودُ وفيه ضعفُ إلاّ أن يكونَ فيه هُوَ، (لأنّ هُوَ من بعض الصلة)، وهو نحو: مررتُ بأَيّهُمْ أَفضلُ، وكما قرأ بعضُ الناس هذه الآية (تَمَامًا عَلَى الذِي أَحْسَنُ...﴾ .[1]

ب. قرأ أبوعمرو قوله تعالى: (يَا صَالِحُيْتِنَا) (الأعراف: 77) بضم الحاء دون أن يبدل الياء واوًا مناسبةً للضمة، والقاعدة تقتضي قلبها في مثل هذا الموضع واوًا مثل: مُوْقِن ومُوْسِر، ومن ثَمَّ قال سيبويه عن مثل هذا السلوك اللغوي إنه لغة ضعيفة، ونص ما قاله: تحت عنوان: (هذا باب ما كانت الياء فيه أولاً وكانت فاءً) هو: "فإن أسكنتها وقبلها ضمة قلبتَها واوًا كما قلبت الواو ياءً في ميزان، وذلك نحو: مُوْقِن ومُوْسِر ومُوْئس ومُوْيس، ويا زيدُ وأَسْ. وقد قال بعضُهُمْ: يا زيدُ يْئَسْ، شَبَّهَها بقُيْل. وزعموا أن أبا عمرو قرأ: (يَا صَالِحُيْتِنَا) جعل الهمزة ياءً، ثم لم يقلبها واوًا. ولم يقولوا هذا في الحرف الذي ليس منفصلاً. وهذه لغة ضعيفة".[2]

ج. قرئ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ (الجاثية: 21) بنصب (سواءً) ورفعه. فاستجاز سيبويه الرفع وحكم على النصب بأنه لغة رديئة، يقول: "واعلم أنّ ما كان في النكرة رفعًا غير صفة فإنه رفعٌ في المعرفة. من ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾. وتقول: مررتُ بعبدِ الله خيرٌ منه أبوه. فكذلك هذا وما أشبهه. ومن أجرى هذا على الأول فإنه ينبغي له أن ينصبه في المعرفة فيقول: مررتُ بعبدِ الله خيرًا منه أبوه. وهي لغة رديئة".[3]

د. قال د. شعبان: نُقِلَ عن أبي عمرو بن العلاء رفضه لقراءة ابن مروان وعيسى بن عمر قوله تعالى: ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ...﴾ (هود: 78) بنصب (أطهرَ)،

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج2، 107- 108.

[2] المصدر نفسه، ج4، 338.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص33- 34.

وقوله: احتبى ابن مروان في هذه في اللحن، حيث وقع ضمير الفصل بين الحال وصاحبها، وليس هذا من المواضع المقدرة لضمير الفصل. ونقل سيبويه ذلك دون اعتراض دليل على موافقته أبا عمرو في تلحينه هذه القراءة، فضلاً عن أن السياق الذي وردت فيه هذه العبارة يؤيد ما نراه من موافقة سيبويه على التلحين.[1]

ثم يقول: تلك هي المواضع التي يمكن القول إن سيبويه عارض فيها القراءات معارضةً صريحةً، وحكم عليها أحكامًا لا تتفق مع مبدئه القائل إن القراءة سنة لا تخالف. ولن نحاول الاعتذار عنه هنا بأنه يريد بالضعف مخالفة القياس كما قال بذلك بعض الباحثين،[2] إذ إن القياس يجب أن يتضاءل أمام السماع خاصة إذا كان سماعًا نال من التوثيق ما نالت القراءات، والذي يهمنا هنا أن نقرر أن سيبويه شأنه شأن النحاة القياسيين يعترض على القراءة إذا تعارضت مع قاعدته، ولا يتورع عن تخطئتها إذا خالفت قياسًا معروفًا عنده، وإن كان موقفه في هذا السبيل يتضاءل ولا يكاد يذكر بجانب مواقفه الجيدة من القراءات.[3]

لقد ردّ بعلبكي في هذه المسألة على الأنصاري ردًا جيدًا قد سبق ذكره. ويرى الباحث أن يضيف شيئين آخرين هما: **الأول**: أن سيبويه لم يذكر أسماء القراء الذين قرؤوا برفع (**أحسنُ**)، إن دل هذا على شيء دل على أنه ما كان يعرف القراء ومدى صحة هذه القراءة. **والثاني**: أن هذه القراءة تنسب إلى يحيى بن يَعْمَر والحسن والأعمش وابن إسحاق.[4] وهي قراءة شاذة جاءت على لغة من لغات العرب، ولقد

---

[1] صلاح، شعبان، **مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري** (القاهرة: دار غريب، 2005م)، ص160- 161.

[2] عبادة، محمد إبراهيم مصطفى، **الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه** (القاهرة: رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم، رقم 122 عام 1977م)، ص212.

[3] **مواقف النحاة من القراءات القرآنية**، ص161.

[4] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م)، ج1، ص344- 345، والدمياطي، **الإتحاف**، ص220.

راجعت ما بين يدي من كتب القراءات السبعة والعشرة المتواترة، و لم أجد فيها هذه القراءة. بناء على هذا أقول: حتى ولو عرف سيبويه القراء لما ضره وصفها بالضعف؛ لأن القراءة الشاذة إذا خالفت القواعد العربية فمثلها كمثل كلام العرب الذي وصفه أحيانا بالقلة والرداءة والندرة. وقال ابن جني: أما الوصف بالضعف فإلى اللهجة لا القراءة، أي هي لهجة، ولكنها حسب معايير النحاة ضعيفة.[1]

وقد رد على المسألة الثانية بعلبكي أيضا كما سبق. والباحث يضيف هنا شيئين آخرين أيضًا: **الأول**: أن سيبويه قال: زعموا أن أبا عمرو قرأ. وهو لا يذكر الفاعلين، وهذا يدل على أنه لم يعرفهم من جهة، ومن جهة ثانية قول (زعموا) يدل على عدم اليقين. والقول إذا احتمل شيئًا آخر بطل الاستدلال به. **والثاني**: إن افترضنا أن أبا عمرو قرأ. فقراءته هنا ليست متواترة بل شاذة؛ لأني تتبعت ما بين يدي من كتب القراءات المتواترة والشاذة و لم أجد فيها أن أبا عمرو قد قرأ بهذه القراءة. وقد تكون نسبة القراءة إليه خطأ.

وقد ردّ بعلبكي على المسألة الثالثة أيضًا ردًا جميلاً. ويضيف الباحث شيئًا آخر أن سيبويه ذكر (سواءٌ) في الآية مرفوعًا. و لم يشر إلى القراءة الثانية. ولعل مرد ذلك أن القراءة لم تصل إليه و لم يكن يعرفها فلا يجوز حمل شيء على ما لا يدل عليه؛ لأن علم القراءات ما وضع في زمانه. وما كان يعرف مصطلحي المتواترة والشاذة.

وأما **الآية الرابعة** من سورة (هود: 48) بنصب (أطهر) فقد ذكرها الأنصاري من ضمن المعارضة غير الصريحة ولكن د. شعبان جعلها من ضمن المعارضة الصريحة، وهذا ليس صحيحًا من وجهين كالآتي:

الأول: أن سيبويه لم يلحن ابن مروان بل قال: "زعم يونس أنّ أبا عمرو رآه لحنًا وقال: احتبى ابنُ مروان في هذهِ في اللحن...".[2] هنا يونس هو الذي يزعم أن أبا عمرو رآه لحنا. وقد يكون زعمه غير صحيح؛ لأنه مجرد زعم.

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، ج1، ص400.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص396.

الثاني: أن قراءة النصب قراءة شاذة. قرأ بها سعيد بن جُبير والحسن بخلاف ومحمد بن مروان وعيسى الثقفي وابن أبي إسحاق.[1] والقراءة الشاذة ليست من القرآن الكريم. ولكن الاستشهاد بها في القواعد النحوية إذا وافقت وجهًا من العربية جائز كما ذكره السيوطي؛ لأنها تعد حينئذ من كلام العرب الفصحاء. فالباحث لا ينتصر للدكتور شعبان – مع احترامي وتقديري لعلمه– في جعله سيبويه من ضمن النحاة القياسيين الذين لا يتحرزون عن التهجم على القراءة إذا تعارضت مع القواعد، ولا يتورعون عن تلحين قارئ إذا لم تتفق قراءته مع مقاييسهم. فسيبويه عندما قال: إن القراءة سنة لا تخالف، هي القراءة الصحيحة السند والمقبولة التي مر ذكرها سابقًا، ليست الشاذة.

3. ود. عبد الفتاح شلبي يقول في موقف سيبويه في القراءات: "أضعُ سيبويه مع مدرسة القرّاء الذين يأخذون بالنقل عن الأئمة ويعتدون برسم المصحف، ولكن ما جاء في كتابه من اعتداد بالقياس وتضعيف بعض القراء الأئمة يدفعني إلى القول بأنه كان مترددًا بين المذهبين".[2]

وأما تضعيفه للقرّاء الذين أشار إليهم فلم يقع إلا مرة واحدة في كتابه وذلك عندما كان يتحدث عن حكم المضارع في جواب الطلب، يقول: "واعلمْ أن الفاءَ لا تُضْمرُ فيها أَنْ في الواجب، ولا يكون في هذا الباب إلا الرفعُ، وسنبيِّن لِمَ ذلك. وذلك قوله: إنّه عندنا فيحدِّثُنَا، وسوف آتيه فأُحَدِّثُهُ ليس إلا، إن شئت رفعته على أن تُشْرِكَ بينه وبين الأوّلِ، وإن شئت كان منقطعًا؛ لأنك قد أوجبت أن تَفْعَلَ فلا يكون فيه إلا الرفعُ. وقال عزّ وجلّ: ﴿فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ (البقرة: 102) فارتفعتْ لأنه لم يُخْبِرْ عن المَلَكَينِ أنهما قالا: لاَ تَكْفُرْ فيتعلَّمون، ليجعلا كُفْره سببًا لتعليم غيره، ولكنه على كَفَرُوا فيتعلّمون. ومثله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: 40، وياسين: 82)، كأنه قال: إنما أمرُنا ذاك فيكونُ.

---

[1] ابن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ج1، ص448.

[2] شلبي، عبد الفتاح، **أبو علي الفارسي** (مصر: د.ن، 1377هـ)، ص166.

وقد يجوزُ النصبُ في الواجب في اضطرار الشعر، ونصبُهُ في اضطرار من حيث انتصب في غير الواجب، وذلك لأنّك تجعلُ أن العاملة. فممَّا نُصِبَ في الشعر اضطرارًا قوله:[1]

سأتْرُكُ منـــزلي لبني تميم وأَلْحَقُ بالحجاز فأستـــريحَا

وقال الأعشى، وأنشدناه يونس: [2]

ثُمَّتَ لاَ تَجْـــــــزونَنِي ولكنْ سيجْزِيني الإلَهُ فيُعْقِبَا

وهو ضعيف في الكلام".[3]

يقول شلبي معقبًا على ذلك: "وقد رجعتُ إلى كتب القراءات فوجدتُ أن قراءة النصبِ عن ابن عامر في المواضع الستة التي ورد فيها هذا الحرف في القرآن الكريم، ووافقه الكسائي في حرفي النحل وياسين".[4]

وتعقب د. خديجة الحديثي على شلبي وتقول: وفي هذا التعقيب اتهام لسيبويه وتحميل لعبارته هذه ما لا تحتمله فهو لم يخطّئ قراءة ﴿كُنْ فَيَكُونَ﴾ بالنصب، ولا قراءة ﴿فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُوا﴾ فهاتان الآيتان وقع الفعل المنصوب فيهما- على قراءة النصب- بعد أمر أو نهي وكلاهما طلب يصح حمل الكلام عليه فينصب أو على الإيجاب فيرفع، وليس قوله: "وهو ضعيف في الكلام" منصبًا على قراءة النصب في هاتين الآيتين إنما هو موجّه إلى قوله: "وقد يجوز النصب في الواجب في اضطرار الشعر، ونصبه في الاضطرار من حيث انتصب في غير الواجب وذلك لأنك تجعل (**أن**) العاملة".[5]

والذي لاحظناه أن سيبويه حينما يعقب على القراءات بما يشعر بعدم موافقته إياها لا يزيد أن يقول: "وهذه لغة ضعيفة" أو "وهي قليلة" فهو لا يوجه الضعفَ إلى

---

[1] والبيت للمغيرة بن حبناء، وانظر ابن يعيش،ج1، ص279، والخزانة، ج3، ص600، والعيني،ج4، ص390، والأشموني،ج3، ص305، والهمع،ج1، ص77.

[2] والبيت في **ديوان الأعشى** 90.

[3] سيبويه، **الكتاب**، ج3، ص38- 40.

[4] شلبي، عبد الفتاح، **أبو علي الفارسي**، ص162.

[5] الحديثي، خديجة، **دراسات في كتاب سيبويه**، ص37- 38.

القراءة مباشرة إنما يحمل القراءة على إحدى لغات العرب الموصوفة بالضعف أو بالقلة ومع ذلك فهي لغة تصح القراءة بها، فالضعفُ والقلة عنده ليس في القراءة نفسها إنما في اللغة التي قرأ بها القارئ.[1]

وكان شلبي يرى سيبويه متعصبًا للبصريين ولقرائهم على وجه الخصوص؛ لأنه رآه على حسب ما استقصاه ينص إذا ما نص على إمام بصري كأبي عمرو ابن العلاء أن من قرأ على بصري كالأعرج أو عيسى أو من بعد عن هذه العصبية كعبد الله بن مسعود وأبَيّ.[2]

وهذا الرأي الذي أشار إليه شلبي فيه نظر؛ لأن سيبويه من سماته المنهجية ألا ينصَّ إذا نص على اسم قائل في شواهده إلا إذا تأكّد من صحة نسبته إليه، ويبدو أن كثيرًا من أبيات الكتاب تركها غفلاً من اسم الشاعر؛ لأنه رأى أن لا تكون النسبة صحيحة، ولم ينسب منها إلاّ ما نسبه شيوخه ورواه عنهم منسوبًا أو ما رواه من يثق بروايته من فصحاء العرب وكثيرًا ما يترك البيت من غير أن ينصَّ على اسم قائله ويكتفي بقوله: "وهو جاهلي" أو "وهو لرجل من بني قيس" أو "قال رجل من بني تميم" ونحو هذا من العبارات التي تشعر بفصاحة اللغة التي ورد عليها البيت؛ لأن همه موجّهٌ إلى النص وفصاحته لا إلى شخصية المتكلم. فموقفه من القراء إذن لايختلف عن موقفه من الشعراء أو ممن نقل عنهم العبارات التي استشهد بها في الكتاب.[3]

4. ويقول د. شوقي ضيف: وسيبويه لا ينكر القراءة التي تخالف القياس، بل عادةً لا يعرض لها، ومما وقف عنده الآية الكريمة: ﴿كُنْ فيكون﴾ وكان ابن عامر يقرأ (يكونَ) بالنصب، وهو بذلك يخالف القياس؛ لأن المضارع لا ينصب بعد الفاء مع الأمر، على نحو ما يقرّر ذلك سيبويه، إلا إذا كان جوابًا له، فالمراد أن يقول للشيء

---

[1] المرجع السابق، ص38.

[2] شلبي، عبد الفتاح، **أبوعلي الفارسي**، ص164.

[3] الحديثي، **دراسات في كتاب سيبويه**، ص38- 39.

كن فيكون، وإنني أعتقد أننا لا نحيط بما يريده الله، وإنما أراد أنه يقول للشيء كن فحسب، ثم أخبر أنه يكون، ومعنى ذلك أن قوله: ﴿فيكُونُ﴾ كلامًا مستقلاً لا مترتبًا على الأمر. ومن هنا نرى سيبويه يذكر في الآية قراءة الجمهور بالرفع، ولا يعرض لقراءة ابن عامر.[1] ومن ذلك نراه لا يعرض لقراءة حمزة: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرْحَامِ﴾ (النساء: 1) بخفض الأرحام وعطفها على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض مع أنه يقرر أنه لا يصح أن يقال: مررتُ بك وزيدٍ، بل لابد من أن يقال: مررتُ بك وبزيدٍ، أي أنه لابد في العطف على الضمير المجرور من إعادة حرف الجر.[2]

5. ترى د. خديجة الحديثي أن موقف سيبويه من القراءات موقف معتدل وقد استشهد بها واستخلص منها القواعد وقاس عليها كلام العرب أو قاسها على كلام العرب ونظر إليها نظرته إلى الآيات الواردة في المصحف العثماني. فهو لم يخطّئْ قراءة و لم يلحن قارئًا و لم يرجح قارئًا من القراء على غيره بل كان يؤيد القراءة أو يؤولها أو يرجحها في غير أن يعتمد شخصية القارئ في ذلك، وسواء لديه أورد اسمه في القراءة أم لم يورد، أكان من القراء السبعة أو العشرة أم لم يكن، تواترت قراءته أم كانت من الآحاد أم من الشاذ. فهو لا يشير إلى نوع القراءة ولا إلى منـــزلة القارئ أو مذهبه بصريًا كان أم كوفيًا أم مدنيًا أم مكيًا؛ لأن اهتمامه كان موجّهًا إلى ما يرد في القراءة من ألفاظ وتعبيرات وإلى صحتها أو مخالفتها للمشهور، وافقت كلام العرب أو خالفته.[3]

6. ويذهب د. محمود أحمد نحلة إلى أن سيبويه في استشهاده بالقراءات لم يكن يلحن قارئًا، أو يخطّئ قراءة، بل كان يذكرها ليبين بها وجهًا من العربية. وأثر عنه استشهاده عرف من بعد بالقراءات الشاذة إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، فإذا خالفت القراءة القياس أعرض عن ذكرها، وتجنب الإشارة إليها، أو ذكرها، وذكر رأي بعض أساتذته

---

[1] ضيف، شوقي، **المدارس النحوية**، ص80- 81، وانظر سيبويه، **الكتاب**، ج3، ص39.

[2] المرجع السابق، ص81.

[3] الحديثي، **دراسات في كتاب سيبويه**، ص47- 48.

فيها دون تعقيب منه.[1] وقال أيضًا: إن المعارضة الصريحة لا تكاد تثبت على التمحيص، فإن من الممكن القول بأن معارضة سيبويه لبعض القراءات هي معارضة غير صريحة تثبت بوضوح احترامه البالغ للقراءات التي يراد لها الاطراد من جهة أخرى.[2]

7. ويرى د. حسن هنداوي أن سيبويه لم ينكر قراءة من القراءات بصريح القول، وإنما كان يضع القاعدة التي تصطدم بالقراءة من غير أن يشير إلى القراءة التي يصطدم بها المقياس الذي انتهى إليه، كما كان يصف بعض ما جاء عن العرب بالقلة والرداءة، ويغفل ذكر القراءات السبع التي جاءت على تلك اللغة.[3]

8. وأما د. محمد سالم صالح فأيد قول د. نحلة وقال: إن معارضة سيبويه لبعض القراءات بشكل غير مباشر عن طريق توجيه الطعن في الوجه أو اللغة التي جاءت عليها لمخالفتها القياس أو القواعد النحوية، يدل في الحقيقة على احترام بالغ للقراءات القرآنية.[4]

بناءً على ما سبق أرى أن سيبويه اهتمّ بالقراءات القرآنية اهتمامًا بالغاً. وهو كان يحترم القراءات احترامًا. ويتجلى ذلك في موقفه من القراءات الشاذة فقد استدلّ بها لإيمانه بأنها تمثل إحدى لغات العرب. فقال في الآيتين: ﴿السَّارقُ والسارقةُ...﴾ (المائدة: 38)، و﴿الزانيةُ والزاني...﴾ (النور: 2)، بالنصب وهما قراءتان شاذتان "وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة. ولكن أبتِ العامة إلا القراءةَ بالرفع"،[5] فقراءة الرفع عنده مبتدأ والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني، والنصب على الاشتغال أي واجلدوا الزانية والزاني كقولك: **زيدًا فاضربْه**.[6] فسيبويه أورد

---

[1] نحلة، **أصول النحو العربي**، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص39.

[3] هنداوي، **مناهج الصرفيين ومذاهبهم**، ص109.

[4] صالح، محمد سالم، **أصول النحو دراسة في فكر الأنباري** (القاهرة: دار السلام، ط1، 1427هـ/2006م)، ص172.

[5] سيبويه، **الكتاب**، ج1، ص19.

[6] المصدر نفسه.

الآيتين، وخرّجهما أو علّل لهما بأن النصب جارٍ على الاشتغال. وأما ما وجّه إليه من انتقادات فهي غير دقيقة؛ لأنه لم يذكر القراء إلا عددًا قليلاً منهم، مثل عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وهارون بن موسى ومجاهد بن جبر والحسن البصري وعبد الله بن مسعود. ومن هؤلاء أبو عمرو ابن العلاء من القراء السبعة فقط وأما الآخرون فليسوا من القراء السبعة ولا العشرة، بل كثير منهم تنسب إليهم القراءات الشاذة مثل الحسن البصري وعبد الله بن مسعود. ولذا نحن رأينا أنه كان يشير إلى أهل المدينة وأهل المكة وأهل الحجاز والكوفة، وإلى لغة هذيل وتميم وغيرها كما سبق؛ لأن القراءة لم تكن قد قسّمت في زمانه وحددت، ولم تكن هذه البحوث المطولة المفصلة في طبقات القراء ولم يعرف القراء السبعة والعشرة والشاذة، كما لم يكن سند روايتها قد ميزت أنواعه وقسمت إلى متواتر ومشهور وآحاد وشاذ وموضوع ونحوه. ولم يتضح هذا التقسيم والتبويب والتفصيل إلا بعد منتصف القرن الثالث الهجري حيث كان ابن قتيبة (ت: 276هـ) من أوائل المتكلمين على القراءات السبع والخلافات حولها. وقد جاء بعده أبوبكر بن مجاهد في بداية القرن الرابع الهجري فحدّد شخصية القراء السبعة، واستمر من جاء بعدهما على التبويب والتقسيم والتحديد حتى استقرت على هذه الصورة التي لم يرها سيبويه في زمانه.[1]

خاتمة

أذكر في الخاتمة خلاصة البحث وأبرز النتائج وهي على النحو الآتي:

1. موقف سيبويه من القرّاء لايختلف عن موقفه من الشعراء أو ممن نقل عنهم العبارات التي استشهد بها في الكتاب؛ فنصّ على اسم القارئ فيما ثبت نسبة القراءة إليه. وإن لم يثبت عنده اسم القارئ نصّ في بعضها على اسم البلد الذي قرأ أهله بهذه القراءة. والأغلب أنه لم ينسب القراءات إلى قارئ معين.

[1] الحديثي، خديجة، **دراسات في كتاب سيبويه**، ص48.

2. إن موقف سيبويه من القراءات القرآنية يختلف باختلاف الموضع الذي يتحدث فيه؛ ففي بعضها يقيس على القراءة ويعتبرها الأصل. وأحيانًا يحمل بعض القراءات على ما يراه أساتذته القياس على كلام العرب لكونها لغة جيدة. وكما يحمل القراءات المخالفة لسواد المصحف على اللغات. وأحيانًا يقيس ما سمعه من العرب على القراءات أو يقيس ما سمعه من العرب ممن يثق بهم من الرواة على القراءات.

3. أحيانًا يورد في الآية قراءتين مختلفتين يستشهد بهما معًا ويرجح بينهما بالكثرة أو الجودة أو الحسن. وأحيانًا يذكر القراءتين في الآية دون الترجيح بينهما، ويذكر القراءات المختلفة مع بيان الوجه لها. ويفسر ويؤول القراءة التي جاءت على غير المشهور. وقد يستشهد بقراءة بلغه ورودها في بعض المصاحف من غير أن يشير إلى هذا المصحف.

4. يرى أحمد مكي الأنصاري وشعبان صلاح أن سيبويه يقف من القراءات موقف المعارضة الصريحة حينًا، والمعارضة الخفية حينًا آخر. وقد رد عليهما بعلبكي ردا حسنا.

5. ويرى د. عبد الفتاح شلبي أن سيبويه كان مترددًا بين المدرسة النقلية والقياسية. وزعم أنه كان يضعّف القراءة مرة واحدة. وردت عليه د. خديجة الحديثي بأنه لم يضعف القراءة. ويذهب محمود نحلة وحسن هنداوي ومحمد سالم إلى أن سيبويه كان يحترم القراءات احترامًا بالغًا. وأما د. خديجة فهي ترى أن موقفه موقف معتدل.

6. يرى الباحث أن سيبويه لم يعارض القراءات لا صراحة ولا خفية، لأن كثيرا منها شاذة، ثم لم يعرف القراء فيها. والأغلب أنه لم يذكر القارئ ويدل ذلك على عدم الإلمام به؛ لأن علم القراءات لـــمّا يوضع في زمانه.

References: المراجع:

Abbādah, Muhamamd Ibrāhīm Musṭafā, "al-Shawāhid al-Qur'āniyyah fī Kitāb al-Sībawayh", PhD thesis in Faculty Dār ʿUlūm, no. 122, 1977.

Abū Ḥayyān, Muḥamad bin Yūsuf al-Andalusī, *al-Baḥr al-Muḥīṭ* (Cairo: Maṭbaʿat al-Saadah, 1328).

Al-Ḥadīthī, Khadījah, *al-Shāhid wa Uṣūl al-Naḥw* (Kuwait: Kuwait University, 1974).

Al-Ḥadīthī, Khadījah, *Dirāsāt fī Kitab al-Sībawayh* (Kuwait: Wakālat al- Maṭbūʿāt, no date).

Al-Afghānī, Saʿīd, *Fī Uṣūl al-Naḥw* (Damascus: Maṭbaʿat Jāmiʿat Dimashq, 1964).

Al-Anṣarī, Aḥmad Makkī, *Sībawayh wa al-Qirā'āt: Dirāsah Taḥlīliyyah Miʿyāriyyah* (Cairo: Dār al-Maʿārif, 1972

Al-Azharī, Khālid, Sharḥ al-Taṣrīḥ ʿalā al-Tawḍīḥ (Cairo: al-Hai'ah al-Miṣriyyah li al-Kutub, 1312).

Al-Danī, Abū ʿUmar Saʿīd bin ʿUthmān, *Jāmiʿ al-Bayān fī al-Qirā'āt al-Sabʿ*, MMS in Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 3 Qirā'āt M, no. 171/A.

Al-Dimyāṭī, Shihāb al-Dīn Aḥmad bin Muḥammad, *Itḥāf Fuḍalā' al-Bashar fī al-Qirā'āt al-Arbaʿa ʿAshar* (Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1st edition, 1987).

Al-Farrā', Abū Zakariyā, Maʿānī al-Qur'ān, ed. Muḥammad ʿAlī al-Najjār and Yūsuf Najātī (Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 3rd edition, 1403/1983).

Al-Hararī, Muḥammad ʿĀrif ʿUthmān Mūsā, "al-Qirā'āt al-Mutawātirah al-Latī Ankarahā Ibn Jarīr al-Ṭabarī fī Tafsīrihī 'alayh", Master thesis Islamic University Madinah, 1406/1986.

Al-Quḍāh, Muḥammad Aḥmad Mufliḥ, and Shukrī, Aḥmad Khālid, *Muqaddimāt fī ʿIlm al-Qirā'āt* (Amman: Dār ʿAmmār, 1st edition, 2001).

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, *al-Muzhir fī ʿUlūm al-Lughah*, ed. Muḥammad Jād al-Maulā Beik et all. (Cairo: Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʿArabiyyah, no date).

Al-Suyutī, Jalʿl al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān, *al-Iqtirāḥ fī ʿIlm Uṣūl al-Naḥw*, ed. Muḥammad Ḥasan (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1427/2006).

Al-Zajjāj, Abū al-Qāsim, Maʿānī al-Qur'ān wa Iʿrābuh, ed. ʿAbd al-Jalīl Shalabī (Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1972).

Al-Zarkashī, Badr al-Dīn Muḥammad bin ʿAbdullah, *al-Burhān fī ʿUlūm al-Qur'ān,* ed. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (Cairo: Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʿArabiyyah, 1376/1957).

Baalbakī, *The Treatment of Qir'aat by the second & third century grammars* In: Zeit Schrift for Arabic Linguistic.

Dimashqiyyah, ʿAfīf, *Athar al-Qirā'āt al-Qur'āniyyah fī Taṭawwur al-Dars al-Naḥwī* (Beirut: Maʿhad al-Inmā' al-ʿArabī,1978).

Hundāwī, Ḥasan, *Manāhij al-Ṣarfiyyīn wa Madhahibuhum fī al-al-Qarnayn al-Thālith wa al-Rabīʿ min al-Hijrah* (Damascus: Dār al-Qalam, 1409/1980).

Ibn Abī Ṭālib, Makkī, *al-Ibānah ʿan Maʿānī al-Qirā'āt,* ed. ʿAbd al-Fattāḥ Shalabī

(Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, 1379/1960).

Ibn al-Jazarī, Shams al-Dīn Muḥammad bin Muḥammad, *al-Nashr fī al-Qirā'āt al-ʿAshr* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah, no date).

Ibn al-Jazarī, Shams al-Dīn Muḥammad bin Muḥammad, *Ghāyat al-Nihāyah fī Ṭabaqāt al-Qurrā'* (Cairo published by G. Bergstraesser, 1351/1932).

Ibn al-Jazarī, Shams al-Dīn Muḥammad bin Muḥammad, *Munjid al-Muqri'īn*, ed. ʿAbd al-Hayy al-Farmāwī (Cairo: No publication, 2nd, no date).

Ibn Jinnī, Abū al-Fath ʿUthmān, *al-Khaṣā'iṣ*, ed. Muḥammad ʿAlī al-Najjār (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 1955).

Ibn Jinnī, Abū al-Fath ʿUthmān, *al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh Shawadh al-Qirā'āt wa al-Īḍāḥ ʿanha,* ed. Muḥammad ʿAbd al-Qādir Ata (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah, 1419/1998).

Ibn Mujahid, Abū Bakr Aḥmad bin Mūsā, *al-Sabʿah fī al-Qirā'āt*, ed. Shawqī Ḍayf (Cairo: Dār al-Maʿārif, 3rd edition, 1988).

Jibrīl, ʿAbd al-Raḥmān, *Taʿtir al-Athir fī Qirā'at Ibn Kathīr* (Amman: Dār al-Ḥamid, 1st edition, 2004).

Khārūf, Muḥammad Fahd, *al-Muyassar fī al-Qirā'āt al-Arbaʿa ʿAshar* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1420/2000).

Muḥaysin, Muḥammad Sālim, *al-Mugnī fī Tawjīh al-Qirā'āt al-Mutawātirah* (Cairo: Maktabat Kulliyāt al-Azhariyyah, 1408/1988).

Muḥaysin, Muḥammad Sālim, *Fī Riḥab al-Qur'ān al-Karīm* (Cairo: Maktabat Kulliyāt al-Azhariyyah, no date).

Naḥlah, Maḥmūd Aḥmad, *Uṣūl al-Naḥw al-ʿArabī* (Beirut: Dār al-ʿUlūm al-ʿArabiyyah, 1407/1987).

Ṣalāḥ, Shaʿbān, *Mawāqif al-Nuḥāt min al-Qirā'āt al-Qur'āniyyah Ḥattā Nihāyat al-Qarn al-Rābiʿ al-Hijrī* (Cairo: Dār Gharīb, 2005).

Ḍayf, Shawqī, al-Madāris al-Naḥawiyyah (Cairo: Dār al-Maʿārif, 1st edition, 1968).

Ṣāliḥ, Muhamamd Sālim, *Uṣūl al-Naḥw: Dirāsah fī Fikr al-Anṣārī* (Cairo: Dār al-Salām, 1st edition, 1427/2006).

Riḍā, Muḥammad Rashid, *Tafsīr al-Manār*, 1st edition, no date.

Sībawayh, Abū Bishr ʿAmr bin ʿUthmān bin Qunbur, *al-Kitāb*, ed. ʿAbd al-Salām Hārūn (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1408/1988).